صدى الحرية

صدى الحرية | العدد 87 | الجمعة 21 | تشرين الثاني | 2014

أسبوعية ثورية اجتماعية
توعوية منوعة

للتواصل وإرسال المشاركات :
Facebook / SadaALhoryeh ** freequd@gmail.com

فريق QMT قدسيا الإعلامي

- داريا منارة الثورة
- المواطن السوري
- عسكرة الثورات
- مبادرة الخطيب
- قبيسيات النظام
- أمسك بنطاله بيده

من الحصار .. داريا منارة الثورة

اعتمد نظام الأسد في إخضاع المدن الخارجة عن سيطرته على سياسة الحصار وحرمان أبنائها من لقمة العيش، تطبيقًا لمعادلته المتبعة «الجوع أو الركوع»، تزامنًا مع إقحام أعتى أسلحته المدمرة في معارك كسر الإرادات ضد قوات المعارضة، وأماكن تواجدها، داريا إحدى تلك المدن.

حيث اتبع نظام الأسد سياسة رفع الأسعار وسحب السيولة النقدية، عبر منع دخول مقومات الحياة الأساسية كالمواد الغذائية والأدوية، وضعف القوة الشرائية للمحاصرين بسبب تفشي البطالة، فلا عمل ولا مصادر للكسب، استغل الأسد الحصار، وعمد إلى سحب السيولة النقدية الموجودة في المدينة عن طريق بيع السجائر على سبيل المثال، حيث كان الدخان يدخل عن طريق سماسرة متعاملين مع النظام.

في حين عمد المحاصرون إلى ابتكار وسائل جديدة للحفاظ على مدخراتهم، والبدء بمشاريع تنموية تساهم في إنتاج احتياجاتهم ذاتيًا، عبر القيام بتنفيذ عدد من المشاريع الإنمائية، تحقق الاكتفاء الذاتي وتضمن الأمن الغذائي والحفاظ على حياة الناس وحمايتهم من خطر الموت جوعًا.

ونفذ المجلس المحلي لمدينة داريا عدة مشاريع زراعية، فقد زرعت عشرات الدونمات داخل المدينة بمحاصيل استراتيجية كالقمح والشعير اللازمة لصناعة مادة الخبز.

كما زرعت عدد من المحاصيل الصيفية والشتوية، بأيدي مقاتلي الكتائب حسب توزعهم على الجبهات.

أما بالنسبة لمادة المازوت والتي تعتبر عصب الحياة داخل المدينة مع قطع التيار الكهربائي بشكل كامل، فقد اعتمد الأهالي على سياسة التقنين والترشيد باستخدامها، عبر تشغيل مولدات الطاقة الكهربائية لساعات محدودة، وتوفير الجزء الأكبر للمشاريع الزراعية واستخراج المياه من الآبار وتوزيعها.

لم تخلُ المدينة من الضغوط التي شهدتها أغلب المناطق الثائرة، لكن إذا ما بحثنا عن الأسباب التي أوصلت المدينة لتكون منارة في الثورة، لوجدنا أسبابًا عديدة، أبرزها العمل بصمت رغم قلة الدعم والموارد، ورغم بعض الخلافات بين كتائب المدينة، على اختلاف انتماءاتها، إلا أن هذه الكتائب وجهت سبطانات بنادقها إلى هدف واحد، وهو إسقاط نظام الأسد.

كما يلعب التنظيم الجيد لمقدرات مدينة داريا ومخزونها البشري دورًا كبيرًا في توجيه دفة الثورة، وتجاوز العقبات والظروف القاهرة للحفاظ على مبادئ الثورة وأخلاقها.

في المقابل، فإن فصائل متواجدة في مناطق محررة في الشمال السوري، استفادت من الحدود المفتوحة إلى تركيا باتجاه واحد، وهو تمكين نفوذها على حساب الفصائل الأخرى، لتبدأ المواجهات المباشرة بين كتائب من المعارضة، مستنزفة بذلك قواها وذخيرتها، علاوة عن خسارة البيئة الحاضنة، وإتاحة الفرصة للأسد ليرتب أوراقه وينقض على هذه المدن واحدة تلو الأخرى.

واجهت المدينة أيضًا خطر بعض الجماعات التي تتحكم بأرزاق الأهالي وتحتكر طرقًا لإدخال المؤمن والأدوية، استطاع الثوار التصدي لهذه الجماعات ومواجهتها بحزم وإخضاعها للعدالة من خلال مركز الأمن المدعوم من القوى العاملة.

بعد عامين على الحملات العسكرية المستمرة ضد المدينة، المحاطة بمربع أمني، والقريبة من العاصمة دمشق، لا يزال مقاتلو المدينة وناشطوها يصرون على إكمال طريق الثورة التي بدؤوها.

ثمة من يقلل من شأن صمود المدنية ويهزأ بإنجازاتها، هؤلاء ذاتهم يطلبون الانسحاب والاستسلام للأسد، متذرعين بآلام النازحين وتشردهم، لكن التاريخ الذي يكتب بدماء أبناء داريا اليوم، سيذكر أيضًا أن هؤلاء الثرثارين سعوا جاهدين لإفشال النموذج الأنجح على مستوى الثورة السورية.

أثرنا الحديث عن داريا لنرسم صورةً لحالة تعايش الناس مع الثورة في ظل الواقع رغم قسوته بعيداً عن أشكال الهروب من المسؤولية أو الخوف، بل مزيداً من الاحتضان للثورة.

عسكرة الثورات قبل أن تولد

يبدأ وعي الإنسان بالتبلور، والتشكل الجدي في عمر المراهقة، وهذه في الحقيقة ليست مقولة نظرية، قرأتها في أحد الكتب النفسية، أو التربوية، إنما هي خلاصة تجربة حياتية سابقة.
لكن كيف كانت مراهقتنا؟
طبعًا، وكبقية المراهقين في العالم، كنا في سوريا نقضي معظم وقتنا في المدرسة، والشارع، والملعب، ما يعني أن تعرضنا للمؤثرات السلوكية، والنفسية، والتربوية، مصدره البيئة العامة، والخارجية، بدرجة أكبر من البيئة الخاصة الداخلية، المتمثلة في الأهل، والمنزل.
في عمر الثالثة عشرة، ينتقل "التلميذ" إلى مدرسةٍ جديدةٍ، ونظامٍ تعليمي جديدٍ، يمتاز عن المرحلة الابتدائية، بوجود مدرس أو مدرسة لكل مادة على حِدة، وبكل الأحوال لم تكن مدرستنا مختلطةً، رغم أن مدارس الريف كانت كذلك، فقربنا من المدينة، جعلنا تابعين لما يطبق فيها من أنظمة، وكان نظام الأسد "العلماني"، يفصل بين الذكور والإناث في مدارس العاصمة، حرصًا على مشاعر النخبة الدينية — التجارية، السنية، المحافظة، والموالية له.
فجأة، ودون علمنا، تحولنا من أطفالٍ عابثين، إلى جيشٍ منظمٍ في صفوفٍ، وصار اسمنا "الرفاق"، أو "شبيبة حافظ الأسد"، نرتدي بدلات، وقبعات، وأحزمة عسكرية، وأحذية سوداء، ونضع شارات تعريفية على الأكتاف، وهو مشابه لما كان عليه الحال في ليبيا "القذافي"، التي اتبعت نظامًا تعليميًا/عسكريًا مماثلًا، وبتنا في عهدة من كانوا يعرفون باسم "مدربي الفتوة"، أو أساتذة مادة التربية العسكرية، ويُقال إن "الرفيق القائد" استوحى ذلك التنظيم العسكري المدرسي، من جمهورية كوريا الشمالية "الديمقراطية"، أو لعله استوحاه من تنظيم شبيبة "هتلر"، فلا أحد يعرف حقًا، ما كان يدور في خلد "القائد المناضل"!
سيحفر هذا التعليم العسكري عميقًا في وعينا الطري، ويشكل كثيرًا من مكنونات لاوعينا العام.
كان مدرب العسكرية ربّ المدرسة، وإلهها الأعلى، وكان حضوره يطغى على حضور مديرنا (الذي كان مخبرًا أمنيًا)، ولم يكن تواجد المدرب مقتصرًا على حصته، فهو حاضر في حياة الطلاب منذ دخولهم في الصباح، وحتى خروجهم بعد الظهر.
في الغالب كان مدربو الفتوة أشخاصًا مرضى، معقدين، وفاشلين، رفضتهم الكليات العسكرية، أو كانوا ضباطًا فاسدين نقلوا من الجيش، وأجهزة الحزب لمديريات التربية العسكرية، أما "المدربات" فكن نساء بالاسم، رجالًا في الشكل، والسلوك.
الوصف الأقرب لأولئك الزمرة، كان السجانين، أو عناصر المخابرات. وفي الحقيقة، كانت مدارسنا سجونًا، ومعابد متطرفة لتلقين صلوات القائد، الذي كان حاضرًا دائمًا باسمه، وصوره، وتماثيله، وبالشعارات اليومية التي نرددها، وفي دروس التاريخ، والتربية القومية الاشتراكية، والاجتماعات الشبيبية، التي كنا نُلزم بحضورها، وفي الإعلام، والثقافة، والفن، و...
هذا أيضًا سيحفر في دواخلنا، ويحولنا ببطءٍ إلى نوويات عسكرية لاواعية، مرتبطة بدارات تحكم مغلقة، ليست لها أية غاية، إلا الحفاظ على نظام "الأب القائد".
كنا نتعرض للعقوبات العسكرية على أية مخالفة نرتكبها، ونتعرض للصفع، والركل، والشتائم، لمجرد تأخرنا دقائق في الصباح، أو نُجبر على أداء التمرينات الشاقة، أو الاستلقاء، والتقلب في برك الماء شتاء، في حال نسياننا للقبعة، أو النطاق العسكري.
في الحصة الأولى، حضر مدرب الفتوة ببزته المموهة، ومسدسه الحربي، ليلقي علينا الدرس العسكري الأول، وكان عنوانه: الفاتحة العسكرية. وكان واضحًا ما تحمله دلالة الاسم من معاني الاستفزاز، والإساءة، ومعاني التحريم، والقداسة التي لا تحتمل الخطأ، ولا تقبل النقاش. يقول مطلع الفاتحة: "بما أن قوة الجيش في نظامه، فقد اقتضى ذلك أن يحوز القائد على طاعة مرؤوسيه التامة دون تردد، أو تذمر". وجاء فيها أيضًا جملة شهيرة، لطالما سنسمعها لاحقًا، في المدرسة، والجامعة، والسوق، والدوائر

الحكومية، وهي: "نفذ، ثم اعترض". وبعد الفاتحة، جاء موعد انتخاب عريف الصف، وكانت تلك أول عملية "ديمقراطية حرة"، نختبرها في حياتنا، وستنطبع أجوائها في مخيلتنا أيضًا. حيث أُمر المتفوقون دراسيًا أن يرشحوا أنفسهم، وأُمر البقية أن يصوتوا، وجرت الانتخابات، التي فزت فيها، فيما اقتصرت آثارها الجانبية على بعض الشتائم، وصفعة مدوية لأحد الرفاق.

كانت الصورة مفرطة في تناقضها، وعبثيتها، سلطة مرعبة، ومسلحة، تأمر رعيتها، أو عبيدها بإجراء انتخابات شكلية، سخيفة، لاختيار ممثلين عاجزين، يقتصر دورهم على تنفيذ تعليمات السلطة، والوشاية بأفراد الرعية لتلقّي العقوبات العسكرية التي يستحقونها. هكذا تكون الديمقراطية إذن، وهذا هو مضمونها وحقيقتها!

ثم كان يتوجب علينا الخضوع للمعسكرات الشبيبية، واجتياز الفحوصات العسكرية حتى يُسمح لنا بالتقدم لامتحانات الشهادتين الإعدادية، والثانوية، أما في الجامعة فكان الخضوع للتدريب العسكري إلزاميًا لنتمكن من النجاح والتخرج، وفي كل تلك السنوات كانت العسكرة حاضرة في كل أركان حياتنا، وكان الجيش السلطة الوحيدة الفاعلة، والقادرة على فعل كل شيء.

السلطة الحقيقية في سوريا وليبيا والعراق، وغيرها من الجمهوريات العربية، هي رئيس الجمهورية، وهو ابن المؤسسة العسكرية وقائدها العام. وأبناؤه كانوا مشاريع قادة عسكريين، يجري إعدادهم في الكليات العسكرية "الوطنية"، التي لا يمكن مقارنتها مطلقًا بأكاديمية "ساند هرست" الملكية البريطانية. وفيما الإعلام يعمل على تكريس الصورة العسكرية للزعيم وخلفائه، ويقوم بالترويج لقوة الجيش وعظمته، باعتباره الضمانة الوحيدة لاستقرار البلاد، وبصورة ما كان ينفذ إلى اللاوعي فكرة أن الجيش وقائده يختصران الوطن والأمان والاستقرار. بينما الجيش في الواقع، مؤسسة قمع وإخضاع، وضبط للمواطنين، والمواطنون يدفعون ثمن عسكرة حياتهم، من أرزاقهم ومستقبلهم وحرياتهم، وفوق ذلك فالجيش لم يحفظ لهم أمنًا، ولم يحقق لهم أي نصر، فقد اقتصرت حروبه وانتصاراته عليهم وحدهم.

عندما وصل الربيع العربي إلى ليبيا، وسوريا كان مقدرًا ربما أن تتحول ثوراتهما السلمية، بعد وقت قصير إلى انتفاضات مسلحة، على عكس الوضع في مصر وتونس، حيث تتمتع المؤسسات العسكرية فيهما باستقلال نسبي عن الرؤساء وأبنائهم، وحيث يوجد هامش حياة مدنية أوسع، وقد لعب العنف المفرط، الذي واجه به نظاما "القذافي"، و"الأسد" تلك الثورات، دورًا في ذلك التحول، كما ساهمت أطراف خارجية في عملية التحويل تلك، وزادت التيارات الإسلامية المسكونة بأحلام "الخلافة"، التي لا تقوم إلا بالسيف والفتوحات من سرعة وديناميكية العسكرة الثورية.

لكن، ما كان له أعظم الأثر، وإن لم يجر الحديث عنه سابقًا في عسكرة الثورات، هو مخزون اللاوعي الفردي والجمعي، والذي تهيمن عليه فكرة الجيش/السلطة، أو السلطة/الجيش، والتي تعني باختصار أن السلاح لا يواجه، ولا يسقط إلا بالسلاح.

في هذا السياق، ربما يصح القول أن هناك ثورات تُعسكر قبل أن تولد، وأن هناك أوضاعًا لن تتغير ما لم يحضر السلاح. وفي هذا السياق أيضًا، قد يفيد التحذير من أن الموجات الثورية العربية القادمة، ضد الأنظمة التي ساهمت بكسر موجة الربيع الحالية، ستلجأ إلى حمل السلاح في الغالب، فاليأس والخذلان الذي وصلت إليه الشعوب العربية، لن يتولد عنه إلا انفجارات عنيفة مريعة ومدوية.

وقد تكون البداية من مصر "السيسي"، الذي يذهب بعيدًا في عسكرة الدولة والمجتمع المصريين، ويدفع بالجيش مقابل الشعب، معتقدًا أنه سيقضي على أحلامه المشروعة بالخلاص والتغيير .

قبيسيات النظام

في العدد السَّابق تحدَّثنا عن صناعة وجهاء المجتمع من رجال الدين التابعين للنظام وغيرهم، وبسبب ظرف مهمٍّ نتحدَّث اليومَ عن صناعة الوجيهات في المجتمع، أيّ السيِّدات الوجيهات لدى النظام، أعني القبيسيات، فمن هنَّ القبيسيات؟ أقول باختصار إنهنَّ جماعة دعوية نسائيَّة نشأت في سوريا في أواخر عهد حافظ الأسد بمباركة الشيخ أحمد كفتارو، ورشَّحَ لرئاستها سيِّدة سوريَّة اسمها منيرة قبيسي، وترتبط هذه الجماعة بعلاقة قوية بالنظام وصِلات بأجهزته الأمنية استمرَّت إلى عهد بشار الأسد، وهنَّ يجمعْنَ من حولهنَّ المرِيدات من الفتيات والنساء، كما يجمع الشيوخ المريدين، لكنْ يُرَكِّزْنَ على الفتيات من دون النِّساء لسهولة التأثير فيهنَّ، بسبب أنَّ الفتيات سرعان ما يتعلقْنَ بشيخاتهنَّ تعلُّقاً عاطفيّاً يُشْبِهُ المرضَ وتصبح وصايا الشَّيخة مقدَّسةً لديهنَّ كالكلام المنْزَلِ، وهذه حالةٌ تُشْبِهُ ما يقع فيه بعضُ الشباب من أتباع الشيوخ المعصومين!!

استطعْنا زرعَ فتاةٍ دمشقية حرَّة في خلايا القبيسيات واختراق جماعتهن، وفي أحد الدروس كانت الشيخة توصي بضرورة مراقبة أعداء الدولة والاستقرار في مدينة دمشق من خلال نقل ما يجري في مجالس النساء في المجتمع، وأوصت الشيخة بإخبار (الآنسة) بما يسمعْنَ من معلومات مهمة تساعد الجهات المختصة في حماية المدينة، و(الآنسة) هو لقب السيدة المشرفة على الجماعة، التي تقوم بدروها بإعلام المشرفة الأكبر، وهكذا وصولاً إلى المشرفة الكبرى وهي السيدة المرتبطة مباشرة بالأجهزة الأمنية، وفي التسجيلات التي وصلت إلينا دعاء على الجيش الحر، وأوصاف لا تليق بحقِّ المجاهدين، وقد هربت تلك الفتاة التي نقلت المعلومات بعد اكتشاف أمرها من القبيسيات، وهي في مكان آمنٍ الآن، وقد حملَتْ معها تسجيلات صوتيَّة فيها أسرار الجماعة من حيث التوجه السياسي والتنظيم، وهي لا تقل خطورة عن تشبيح كبار المشايخ الذين كانوا يرون أنَّ جنود النظام في رتبة الصحابة، حاشا لله وكلا. العجيب في المسألة أنْ نسألَ: كيف تقوم سيدة تعلِّم البنات القرآن ودروس الدين بالارتباط بجهاز أمني؟ الجواب هو أن هذه المؤسسة هي مؤسسة خاصة مرهونة بولاء النظام وأكثرهنَّ من سيّدات مدينة دمشق وضواحيها الراقية، ولسنا هنا في صدد اتّهام سيّدات مدينة دمشق اللواتي هنَّ عنوان للشرف والمروءة ما عدا القبيسيَّات، لكنَّنا نتحدَّث عن ظاهره اجتماعيَّة محدودة لكنها خطيرة، ونتحدَّث عن مؤسسة دينية اجتماعية خاصة نشأت في مدينة دمشق برعاية أجهزة أمنيَّة غَرَضُها الارتباط بتلك الأجهزة الأمنية مقابل أن تسمح لها تلك الأجهزة بممارسة الدعوة، وفي الحقيقة إنَّ الدعوة ليست هي الغرضَ الأهمَّ عند جماعة القبيسيَّات، بل الغرض هو جمع المريدات و**تحقيق الوجاهة الاجتماعية** من وراء ذلك، تماما مثل الشيخ الذي يجمع الأتباع والمريدين من حوله ويباهي باقي الشُّيوخ بحظوته لدى أتباعه، **وهذا مرضٌ اجتماعيٌّ نشأ في المؤسسات الدينية التي يُحِبُّ فيها بعض المشايخ الظهور الاجتماعي**، وأن يكون له أتباع في المجتمع يُشْبِهُونَ عساكرَ النظام في الطاعة العمياء والالتزام والحبِّ الأعمى، **وكثير ممَّن يحبُّ الوجاهة يعشق الصِّلة بالحكَّام والمسؤولين لأنَّ هذا أيضاً من مستلزمات الوجاهة، وهذه هي مشكلة المؤسسة الدينية في سورية**، والقبيسيات سيِّدات ثريَّات غالباً، والمسؤولاتُ المشرفاتُ منهنَّ كلهنَّ يَمْتَلِكْنَ سيَّارات خاصة من دون استثناء، أمَّا المريدات فهنَّ من أوساط مختلفة في الثقافة والوضع المالي، وهذه الجماعة مَحْمِيَّة من قبل أجهزة أمنيَّة معروفة داخل دمشق، وكلُّنا يذكر كيف اجتمع رأسُ النظام (قَطَعَهُ الله ونَشَرَهُ على رؤوس الأشهاد بما أراقَ من دماء السُّوريين الأبرياء) كلُّنا يذكر كيف اجتمع بالقبيسيات في القصر الجمهوري في شهر كانون الأول من عام 2012. أمَّا مصادر تمويل هذه الجماعة فهو من مدارس خاصة للتعليم أنشأتها المسؤولاتُ عن الجماعة، وطلَّابها كثيرون وصفوفهم مكتظَّة، وحين كانت وزارة التربية قبل الثورة تنذرهم بإغلاق مدارسهم، كانت أوامر أمنية تأتي بإلغاء الإنذار، فضلا عن مخالفات أخرى كانت تقوم بها الجماعة، وأجور الدراسة فيها باهظة منذ مرحلة ما قبل الثورة، لذلك كان يرتادها أبناء أثرياء المجتمع، ولأنَّ أكثر المجتمع السوري في المدينة مجتمعٌ متديّنٌ فقد حرص كثيرون من أغنياء العاصمة وتجّارها على تسجيل أبنائهم في مدارس القبيسيَّات، وهم يَدْعَمُون هذه المدارس ماليّاً من دون قصدٍ ومن دون علمٍ بتوجهاتها السياسيَّة العميقة، وبارتباطاتها الأمنيَّة، وقد تمَّ اعتقال كثير من الأحرار والحرائر من خلال وشاية القبيسيات لدى الأجهزة الأمنية. هكذا صنع نظامُ الأسد وجهاء المجتمع في سورية، وهكذا صنع وجيهات المجتمع، أو قُلْ: أنذال المجتمع، أما الشيخ الحقيقي في رأينا فهو ذلك الرجل الذي لا يصنع جماعة، ولا يتحالف مع القاتلين والظالمين، هو شيخٌ يقول كلمة الحقّ فيكون شهيداً، أو يهاجر في أرضِ اللهِ الواسعة..

قال تعالى: ﴿إِقَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ .

المواطن السوري... أنت الحلقة الأضعف

حديث الغلاء وارتفاع الأسعار أصبح شغل السوريين الشاغل، في ظل استمرار النظام بسياساته القائمة على عدم التدخل في أسعار السلع أو ما يسمى "ليبرالية الأسعار"، مع ثبات الدخل، حيث يعيش معظم السوريون اليوم على راتب لا يتجاوز 100 دولار شهرياً، لا تكفيهم لتأمين حاجات الغذاء التي تصل حصته من سلة المستهلك، 40 %، وتتشعب الاحتياجات لتصل إلى الاتصالات والنقل والسكن والطاقة، ولكل واحدة من هذه العناصر ميزانية خاصة في ظل التهاب الأسعار، ما سيدفع أكثر من 90 % من السوريين إلى خط الفقر مع بداية العام 2015 كما تشير إحدى الدراسات.

وارتفاع الأسعار الأخير في الأسواق السورية سواء للسلع أو الخدمات أتى نتيجةً حتمية لقرارات رفع أسعار حوامل الطاقة على الصناعيين والتجار ناهيكم عن جشع التجار والإتاوات التي يتحملونها لإدخال المواد الغذائية وغيرها إلى مناطقهم بالتالي من الطبيعي أن يحملوها للناس.

المقارنة بين الأسعار العالمية والمحلية للمواد هي الطريقة التي يستخدمه النظام في تقييمه للأسعار كما يقوم بذلك عند تقييم المشتقات النفطية حين قرر تحرير أسعارها وسبق أن تحدثنا عنها، متجاهلاً أن ذلك التسعير يستلزم أن يعطي المواطن راتباً عالمياً ومن ثم يطالبه بدفع القيمة الحقيقية للسلعة.

وإذا كانت حاجة الفرد الغذائية هي 2250 سعرة حرارية يومياً، وفق التقديرات الدولية ففي سوريا من لا يقدر على تحصيل هذه الحاجة، فهناك من يموت جوعاً.

ويعتقد خبير اقتصادي، أن حصول المواطن على قيمة عادلة للدخل في ظل معدلات التضخم غير المسبوقة، فالحل الوحيد هو ربط الرواتب والأجور بمعدلات التضخم، فهذا الخيار على علاته هو الوحيد الكفيل بإعطاء المواطن الدخل الكافي لتأمين احتياجاته المعيشية، هذا في حال كان لدى النظام النية في تحسين مستويات المعيشة، وهي الشرط الأساسي لأي توجه ليبرالي، حيث لا يمكن رفع الأسعار واستمرار مقارنتها بالأسعار العالمية وإبقاء الدخل على حاله من منطق الاشتراكية.

ويعارض أحد الخبراء الاقتصاديون، فكرة ربط الدخول بمعدلات التضخم، ويعللون ذلك أولاً بأن هذا سيعني ربط معدلات النمو أيضاً بالتضخم وفي الاقتصاد السوري مشكلات هيكلية لا تساعده على ذلك، علاوةً على أن مثل هذه السياسات يمكن أن تلجأ إليها الحكومات –كما فعلت تركيا على سبيل المثال- عندما تكون معدلات التضخم مكونة من رقمٍ واحد، أي لم تصل حتى إلى 10%، وفي الحالة السورية نحن نتحدث عن معدل تضخم تجاوز الـ 400 % في أحسن الحالات.

ويعتبر الخبير أنه ولو افترضنا جدلاً أنه أمر قابل للتطبيق فإنه لن يحل المشكلة على اعتبار أنه إجراء سيكون خاص بالموظفين وأصحاب الرواتب وهم لا يتجاوزون في القطاعين 5 مليون شخص.

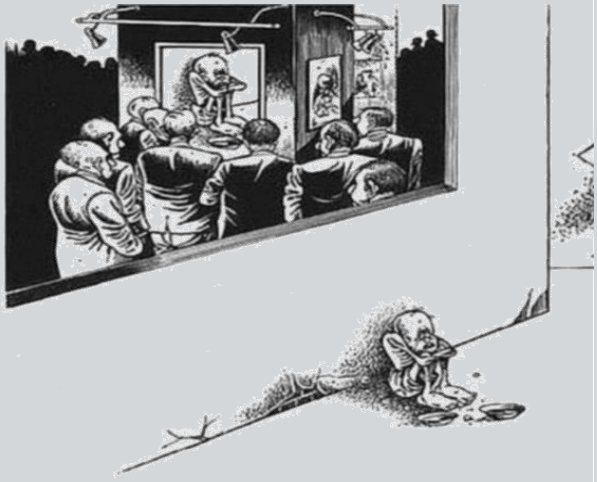

ويشير الخبير الاقتصادي إلى أن المواطن في سوريا لا أمل لديه فزيادة الأسعار مستمرة بشكلٍ ممنهج من قبل النظام، ولا يوجد إمكانية لزيادة الرواتب، خاصة في ظل تراجع موارد الخزينة، واستمرار الآلة العسكرية.

من الواضح تعمد النظام الاستفادة من سلة العيوب في كلا الأنظمة الاقتصادية الاشتراكية والليبرالية، حيث يأخذ من كل منهج اقتصادي ما يتناسب مع مصالحه، فيُبقي الرواتب المنخفضة، ويرفع الأسعار وتنسحب الدولة من دورها في الدعم بحجة أنه يشوه الاقتصاد وهي قاعدة ليبرالية.

الغاية تتمثل كما يوضح خبراء اقتصاديون هي العمل على إفقار الناس أكثر وزيادة نقمتهم على الثورة.

مبادرة الخطيب
رمد الحل السياسي خير من العمى

لا أحد ينكر أن سوريا أصبحت ساحة صراع وتصفية حسابات بين المتطرفين، من داعش وأخواتها إلى حزب الله اللبناني وأخواته من الميليشيات الطائفية اللبنانية والعراقية والايرانية، ودور جيش النظام أصبح هنا ثانوياً، حيث تتولى الميليشيات الطائفية التخطيط والتنفيذ له، وهو كـ " التيس المحلل " ليس إلا ، ولا يختلف الحال عند الجيش الحر الذي أصبح يستخدمه اللصوص وقطاع الطرق كغطاء لسرقاتهم وانتهاكاتهم ، وتهريبهم المازوت، فلم تحتاج جبهة النصرة سوى ليومين حتى قضت على أحد أكبر الفصائل المنسوبة للجيش الحر، واقصد هنا جبهة ثوار سوريا، التي يقودها جمال معروف.

لا يتختلف الحال كثيراً عما هو عند النظام، عن المناطق المحررة، فالأوضاع المعاشية فيها تسير من سيئ إلى أسوأ، في ظل انعدام أدنى متطلبات الحياة، وغياب الخدمات، وانتشار الفوضى، فضلاً عن استهداف النظام لتلك المناطق بكل أنواع القصف من البراميل المتفجرة والصواريخ والقذائف، وصولاً إلى الكيماوي، وعلى وقع هذا تتنامى ظاهرة أمراء الحروب، الذين أصبح لبعضهم رغم أنه لا يملك من المؤهلات شيئاً صولة وجولة وخدم وحشم، أضف إلى ذلك تجار القضايا أثروا من وراء الدم السوري المراق .

في ظل معارضة خارجية — التي يفترض أن يُعول عليها – مشرذمة مفككة، تتهم بعض أطرافها بالفساد رغم أنها خرجت لمحاربته، ومجتمع دولي ماعاد يلقي لها بالاً، حتى لم يعد يعدها وعوداً كاذبات كانت تمر بها رياح دوننا .

الناس بدأوا يبيعون الغالي والنفيس كي يستطيعوا أن يغامروا بأرواحهم ويركبوا البحر، ويكونوا لقمة سائغة لحيتان البشر او حيتان المحيطات، حتى يستطيعوا أن يصلوا إلى أرض أوروبا الحلم، وكثير منهم تاه في المطارات وعلى الموانئ والقفار .

لا بد من حل سياسي ينهي هذه الأزمة ، قد تكون مبادرة الشيخ معاذ الخطيب التي ذهب بمقتضاها إلى روسيا خطوة على طريق الحل المنشود، الذي يحقق الحد الأدنى من مطالب الثورة السورية، المتمثلة برحيل بشار الأسد، إضافة إلى الحفاظ على سوريا موحدة، ووقف ة النزيف السوري المجاني .

أستطيع أن أتقبل رأي مقاتل واقف على خط الجبهة ببندقيته، ويرفض مبادرة الخطيب، بينما من نقلته الثورة ليعيش في إحدى المدن القريبة أو البعيدة وحسنت من حاله، فهؤلاء لا يرضون أن تنهي الثورة، لأنهم يعتاشون على جراحها، كما لم أقرأ لأغلب من عارض المبادرة حلولاً بديلة للأزمة، سوى اعتراضهم على الخطيب لأسباب شخصية،وربما رغبة بالنكايا السياسية والحسد والغيرة.

إلى الآن لم تتضح سوى الخطوط العامة التي صرح عنها الخطيب في مقال له نشرة على صفحته الفيسبوكية، ومازالت المبادرة بزرة في تربة السياسة العالمية، قد تكون حلاً يحقق أقل القليل مما كنا نطمح له ونحلم به، فرمد الحل السياسي يبقى خيراً من عمى صراع لا أفق له .

فريق QMT قدسيا الإعلامي

أمسك بنطاله بيده ... وجرها من ذراعها
فهل تكون الضحية؟

دخلت النفق المؤدي إلى كلية الآداب مسرعة، وفي ساعة يدها الملونة، أدركت أن الامتحان سيبدأ، خلال دقائق، وقبل أن تصعد الدرج، وجدت نفسها بين جموع المتأخرين من الطلاب، وفكرت (روائح العرق كريهة في هذا المكان)، لكن لم يبق إلا القليل، ولم تنتبه، إلى الشاب خلفها، كانت يده، تسبقه إلى يدها، واستدارت ذاهلة، لكنها لم تعرفه.

جلست قبالة الباب في المدرج الرابع، كانت لا تزال مأخوذة، بما حصل، لم يسبق أن تحرش بها أحد، في صباح يومٍ امتحاني، وبدأ المراقب جولته، تفقد هويتها وبطاقتها الجامعية، وتبسم لها بلطف، قرأت الأسئلة، وبدأت بالإجابة، وفي ساعتها، بدا أن الوقت كافٍ جداً.

لملمت أغراضها، تفقدت هويتها، تبسمت للمراقب، كمن يستأذن، وضعت أوراقها على الطاولة، ومضت باتجاه الباب، حين سمعت الصوت، كان المراقب خلفها، وفي يده ورقة صغيرة، يبدو أنها وقعت من حقيبتها، كما قال، أخذتها وشكرته.

في الطريق إلى المنزل، فضلت ألا تنزل في النفق، وسارت باتجاه ساحة الأمويين، ولا زالت الورقة في يدها، فتحتها، وبشيء من القرف، رمتها، وفكرت أن أساليب التحرش في تجددٍ دائم، في الورقة رقم هاتف.

نظرت للساعة، وتابعت سيرها، بخطىً أكبر هذه المرة، وفكرت لو نجحت في امتحان اليوم، لن يبقى أمامها الكثير لتتخرج، وفجأة سمعت صوتاً غريباً، خلف شجرةٍ، استقرت على الطريق، لكن كان بإمكانها أن تراه، قفز الرجل في وجهها، أمسك بنطاله بيده، وجرها من ذراعها، لكن يداً أخرى، جرتها للخلف هذه المرة، رجلٌ آخر، ظهر فجأة، واختفى الأول.

شكرت الرجل، وشعرت بدوارٍ خفيف، وقبل أن تستدير، سألها أن يرافقها، بعد ما حصل، ودون أن تجيب، كان يسير بجانبها، وبشيء من الامتنان، كررت شكرها، وقبل أن يفترقا، دعاها لزيارته في منزله، علها تستريح بعد الحادثة، ومن جديد، لم ينتظر إجابتها، لأن الغرفة التي يسكنها لوحده، مريحة جداً، وعلى وجهه علت ابتسامة بلهاء.

مع دوارٍ شديد، هذه المرة، وجدت لنفسها مكاناً في باص النقل الداخلي، شعرت بالأرض تتحرك، تمسكت جيداً، حين بدأ الباص رحلته إلى نهر عيشة، أغمضت عينيها، كمن يبحث عن شيءٍ من راحة، وفي ساعتها، كانت الثالثة ظهراً، وسرت قشعريرة كالكهرباء في جسمها، يدٌ ما، وجدت الطريق إلى رجلها هذه المرة، لكنها لم تنتظر، كانت يدها أسرع إلى وجهه، فلن تكون الضحية كل مرة، ولن تسكت على التحرش بعد ذلك أبداً.

كاريكاتير العدد